خطبة: اسباب وموانع الهداية (2)

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

تحدثنا في الخطبة السابقة عن الهداية أسبابِها وبواعثها ، وأنها الهداية لمنهج الله تعالى " من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا " (الكهف : 17 ) .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه " يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم [رواه مسلم: 6737].

ونقيض الهدايةِ -عباد الله- الضلالة، أن يُحْرَمَ المرءُ التوفيقَ إلى الهداية، والسيرَ على صراط الله المستقيم، ليتخبّط في سبل الضلاله ، غافلا عن تحذير ربِّنا جلّ وعلا " وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153الانعام)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا خطًّا فقال: هذا سبيل الله. ثم خط عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطًا فقال: هذه سُبُل، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليها. ثم قرأ هذه الآية: (وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (رواه احمد ) .

وكما أن لتحقيق الهداية وسائل وبواعث تحدثنا عنها ، فهناك موانعُ وصوارف تصرف المرءَ عن سبيل الهداية :

منها اتِّبَاعُ الهوى، فإنه يحجب عن الهداية ويصرف عنها، قال -سبحانه-: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)[الجاثية: 23]. واتخاذ المرء الهوى إلها هو في تقديم هواه على أمر الله وشرعه وعلى الحق ودلائله .

ومن موانع الهداية الكِبْرُ والغرور؛ لأنه يُعْمِي صاحبَه ويصرفه عن الخير، قال -سبحانه-: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا)[الأعراف: 146

وهذا ماظهر جليّا في رد كفار قريش وكبراؤهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام

روى الحاكم بإسناد صححه، أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئتَ به، فأنزل الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:33]".

ومن موانع الهداية التعصبَ والجمود الفكري

قال تعالى " وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (23 الزخرف) ،،

ولما سمع كبراءُ قريشٍ القرءانَ خُفيةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سأل الأخنسُ بن شريق أبا جهل عن رأيه فيما سمع، فقال أبو جهل: "تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعَموا فأطعمنا، وحمَلوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رِهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه"!

ومن موانع الهداية -عباد الله- مانراه في واقعنا اليوم من الإنهزامية النفسية امام المدنية الغربية الزائفة والمتمثلة في التقليد الأعمى لكل ماهو غربي ، لبست نساؤهم اللباس الضيق فلبسته نساؤنا ، ولبست نساؤهم الثياب الممزقة فلبستها فتياتُنا ، وكما قال صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم. قلنا: يا رسول الله, اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)) ( الشيخان )

ومن صوارف الهداية أن يربط المرءُ هدايته بمنافع مادية ، إن تحصلت سار في ركب المهتدين تصنعا وإن لم تحصل تردّدَ وتّنكب

 عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهما، قالَ في قوله تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج: 11]، قالَ: كانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فإنْ ولَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلامًا، ونُتِجَتْ خَيْلُهُ، قالَ: هذا دِينٌ صالِحٌ، وإنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ، ولَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قالَ: هذا دِينُ سُوءٍ.(صحيح البخاري)

هدانا الله لما يحبه ويرضاه ، ووفقنا للبرّ والتقوى ، اقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

من صوارف الهداية التي ظهرت في عصرنا الحالي الانصرافُ عن الالتزام الديني بحجة سوء اخلاق بعض المسلمين ، فترفض المرأةُ الحجابَ الشرعي بحُجةِ سوءِ اخلاق بعض المحجبات ، او ذاك الذي يهجر المساجد بحجةِ سوء بعض المصلين ، وكأن البشر هم الحجةُ على الدين ، وليس الدينُ هو حجةُ الله على عباده ، وهذا يشبه ماقاله قوم نوح عليه السلام له "… وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27 هود)

ولكل هؤلاء كان الرد في الحديث القدسي :

" . يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ"[مسلم].